

مصادر دراسة تاريخ العرب قبل الدعوة الإسلامية Sources for Studying Pre-Islamic Arabian History

الأستاذة/ صباح بوحوالي - جامعة الجزائر 2

bouhoualisabah@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/08/16 تاريخ القبول: 2026/08/21 تاريخ النشر: 2026/08/26

ملخص:

تعتمد دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام على منظومة متكاملة من الأدلة المادية والنصوص الأدبية لإعادة بناء المعالم الحضارية لشبه الجزيرة العربية. ويشمل هذا الإطار تتبع المفهوم التاريخي للجاهلية وسلالات القبائل العربية، إلى جانب استنطاق الاكتشافات الأثرية والنقوش القديمة التي توثق الممالك والشبكات التجارية والتحويلات الدينية. كما تلعب المصادر النصية، كالقرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر الجاهلي، إضافة إلى شهادات المؤرخين الأجانب الكلاسيكيين والسريان ونقد تحيزاتها، دوراً محورياً في استكشاف البنية الفكرية والاجتماعية لتلك الحقبة. وتكمن القيمة العلمية في تكامل هذه المصادر لتقديم رؤية موضوعية شاملة حول البيئة الفكرية والروحية التي مهدت لنشأة الدين الإسلامي.

الكلمات المفتاحية :

شبه الجزيرة العربية ، النقوش ، القرآن الكريم ، الشعر الجاهلي ، القبائل العربية .

Abstract:

The study of pre-Islamic Arabian history relies on an integrated system of material evidence and literary texts to reconstruct the cultural and civilized features of the Arabian Peninsula. This framework encompasses tracing the historical concept of 'Jahiliyyah' and the lineages of Arab tribes, alongside examining archaeological discoveries and ancient inscriptions that document early kingdoms, trade networks, and religious transformations. Furthermore, textual sources—such as the Holy Qur'an, Prophetic Hadith, and pre-Islamic poetry—in addition to the accounts of classical and Syriac foreign historians and the critique of their biases, play a pivotal role in exploring the intellectual and social structures of that era. The scientific value ultimately lies in the integration of these diverse sources to provide a comprehensive and objective vision of the intellectual and spiritual environment that paved the way for the rise of Islam

Keywords: The Arabian Peninsula ,Inscriptions , The Holy Qurean , Pre-Islamic , Poetry, Arab tribes.

مقدمة:

يُعدّ موضوع مصادر دراسة تاريخ العرب قبل الدعوة الإسلامية من الموضوعات ذات الأهمية البالغة في ميدان الدراسات التاريخية والحضارية، لما يمثله من مدخلٍ أساس لفهم البيئة التي ظهر فيها الإسلام، والعوامل الفكرية والاجتماعية والسياسية التي مهدت لبعثته. فدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام لا تقتصر على استعراض وقائع الماضي فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى تحليل طبيعة المجتمع العربي، وبنية حضارته، وصلته بالحضارات المجاورة، الأمر الذي يساعد على إدراك العمق التاريخي للثقافة العربية الإسلامية.

تتمثل الإشكالية الرئيسة لهذا المقال في السؤال المحوري: ما هي أهم المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة تاريخ العرب قبل الدعوة الإسلامية، وما مدى

مصادقيتها العلمية في إعادة بناء هذا التاريخ؟ ويتفرع عن هذا السؤال مجموعة من التساؤلات، يمكن تحديدها في الآتي: ما مفهوم المصادر والمراجع وما الفرق بينهما؟ ما هي أبرز المصادر المادية والأثرية التي تسهم في دراسة هذا التاريخ؟ وما المعلومات التي تقدمها النقوش والآثار القديمة؟

تنبع أهمية الموضوع من كونه يسلط الضوء على فترة محورية غالبًا ما طغت عليها التعميمات والمفاهيم الموروثة، بينما هي في الواقع غنية بالمظاهر الحضارية والسياسية والاجتماعية التي تستحق الدراسة العلمية الدقيقة. كما أن معرفة هذه المرحلة تعدّ ضرورية لكل باحث في التاريخ الإسلامي، لأنها تكشف عن الجذور الثقافية التي انبثق منها الخطاب الإسلامي لاحقًا.

أما عن أهداف المقال ودوافع اختياره، فتتمثل في الرغبة في توضيح طبيعة المصادر التاريخية التي تناولت العرب قبل الإسلام، وتبيان قيمتها ومحدوديتها، إضافة إلى محاولة بناء رؤية نقدية متوازنة تجمع بين الدليل المادي والنصي، وتجاوز النظرات الاختزالية التي حصرت "الجاهلية" في الجهل والانحطاط. كما يهدف البحث إلى إبراز الدور الذي لعبته الاكتشافات الأثرية والدراسات الحديثة في تصحيح كثير من التصورات القديمة حول هذه الحقبة.

ينقسم هذا المقال إلى ثلاث فصول رئيسية: يتناول الفصل الأول الإطار التعريفي والتاريخي للموضوع، من خلال تعريف مصطلحي المصدر والجاهلية، وتقسيم العرب إلى طبقات، وبيان أهمية دراسة تاريخهم قبل الإسلام. أما الفصل الثاني فيعالج المصادر المادية، من مكتشفات أثرية ونقوش قديمة، وما تكشفه من دلائل عن الحياة السياسية والاقتصادية والدينية. ويخصص الفصل الثالث لدراسة المصادر الأدبية والتاريخية، العربية منها والأجنبية، مع تحليل مضمونها ونقد اتجاهاتها.

في إعداد هذا المقال، اعتمدنا على مجموعة من المراجع الأساسية، منها المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة لعبد العزيز صالح وتاريخ صدر الإسلام والدولة الاموية لعمر فروخ وغيرها من المصادر والمراجع.

أما من حيث المنهج المتبع، فقد اعتمد البحث على منهج تحليلي - تاريخي - استقرائي؛ إذ انطلق من تتبع النصوص والأدلة الأثرية، وتحليلها في ضوء السياق التاريخي، مع المقارنة بين المصادر المتنوعة لإعادة بناء صورة علمية متماسكة لتاريخ العرب قبل الإسلام. كما استُخدم المنهج الوصفي النقدي في عرض وتحليل آراء الباحثين القدامى والمحدثين حول مصداقية تلك المصادر وقيمتها الحضارية.

وهكذا، فإن هذا البحث يهدف إلى تقديم رؤية علمية شاملة ومتوازنة لمصادر دراسة تاريخ العرب قبل الدعوة الإسلامية، انطلاقاً من التكامل بين المادة الأثرية والرواية النصية، في محاولة لإعادة قراءة تلك المرحلة من منظور حضاري دقيق وموضوعي.

1- أهمية دراسة تاريخ العرب قبل الدعوة الإسلامية

قبل التطرق لأهمية دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام وجب علينا توضيح بعض المصطلحات ذات صلة بالموضوع، بداية بمفهوم المصدر والمرجع وكيفية التمييز بينهما إذ تعد هذه الخطوة من النقاط الأساسية في أي بحث علمي، لأنهما يمثلان الأدوات التي يعتمد عليها الباحث في جمع المعلومات وتوثيقها.

أولاً: مفهوم المصدر

المصدر هو الأصل الأول للمعلومة، أي المادة الخام التي تُستقى منها المعرفة مباشرة دون وساطة.

بمعنى آخر، هو كل وثيقة أو نص أو أثر يمثل شهادة مباشرة على الحدث أو الظاهرة التي يدرسها الباحث. إذن فالمصدر هو البيانات الأصلية الأولية التي لم تتعرض للتفسير أو التحليل بعد. (عبد الرحمن عطية، 2007، ص 4)

ونذكر منها:

- النقوش والوثائق الأصلية القديمة.
- المخطوطات الأصلية غير المحققة.
- النصوص التاريخية التي كتبها المعاصرين للحدث.
- الإحصاءات الرسمية، أو المقابلات الميدانية، أو نتائج التجارب في الدراسات العلمية.

ثانيًا: مفهوم المرجع

المرجع هو العمل أو الكتاب الذي يعرض المعلومة بعد تحليلها أو تفسيرها. أي أنه لا يقدم المادة الأصلية كما هي، بل يعرضها من خلال رؤية مؤلف آخر، فيشرحها أو يستنبط منها نتائج جديدة. إذن المرجع هو مصدر ثانوي يقدم قراءة أو شرحًا لمصدر أولي. (عبد الرحمن عطية، 2007، ص 5)

وهو عادة الكتاب الذي كتب عن عصر ما، ولكن بعد انقضاء ذلك العصر، وكلما كان المرجع أقرب إلى العصر الذي يعالج أحداثه وأحواله كان أهم وأوثق. (حسين الحاج حسن، 1992، ص)

ومن المراجع:

- الكتب الأكاديمية المتخصصة، و الدراسات التاريخية التحليلية التي تشرح نصوصاً أو أحداثاً سابقة.
- المقالات الأكاديمية والدراسات النقدية.
- موسوعات، ومعاجم، كتب تفسير أو تحليل أو تعليق على نصوص أصلية.

وفيما يلي جدول يبين الفرق بين المصدر والمرجع

المقارنة	المصدر	المرجع
طبيعة المعلومة	أصلية أولية مباشرة	ثانوية، ناتجة عن تحليل أو تفسير
الاعتماد الزمني	معاصر للحدث أو الظاهرة	لاحق للحدث، يعلق عليه أو يشرحه
وظيفته في البحث	تقديم الوقائع كما حدثت	تفسير وتحليل تلك الوقائع
أمثلة	ن الكريم، النقوش، المخطوطات، الوثائق الرب	التفسير، كتب التاريخ، الدراسات التح
قيمة الاستخدام	أساسية لبناء الحقائق	مكملة لفهم وتفسير المصادر

ثالثاً: مفهوم الجاهلية وتاريخ العرب قبل الإسلام

مصطلح "الجاهلية" من أكثر المفاهيم تداولاً عند دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام، وقد اكتسب معناه من تداخل البعدين اللغوي والتاريخي معاً.

-من الناحية اللغوية: كلمة *الجاهلية* مشتقة من الجذر الثلاثي "جَهَل"، وهو ضد "عَلِمَ"، أي الجهل في مقابل العلم، جهله كسمعه جهلاً وجهالة: ضده علمه، وعليه أظهر الجهل كتجاهل وهو جاهل وجهول. (محمد بن يعقوب، 2010، ص 1009-).
غير أن العرب القدماء كانوا يستعملون مادة *الجهل* بمعنى أوسع من مجرد انعدام المعرفة، إذ كانوا يقصدون بها أيضاً *السفَه*، *الغضب*، *والطيش في السلوك*، فيقال: "رجل جاهل"

ليس بالضرورة لأنه لا يعلم، بل لأنه يتصرف بغير حكمة أو يتبع نزواته. ومن هنا، جاء استعمال لفظ "الجاهلية" للدلالة على الحالة التي كان يعيشها العرب قبل بعثة النبي محمد ﷺ، من حيث انتشار العصبية القبلية، عبادة الأصنام، وغياب التشريعات الأخلاقية المستندة إلى وحي أو دين سماوي

وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم في عدة مواضع، في قوله تعالى: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) (سورة الفرقان ، الآية 63)، (قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) (سورة البقرة ، الآية 67)، (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) (سورة الأعراف ، الآية 199)، (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) (سورة هود ، الآية 46). وفي كل هذه المواضع ما ينم على أخلاق الجاهلية. وقد ورد في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم: (إذا كان أحدكم صائماً، فلا يرفث ولا يجهل) (محمود شكري الألوسي ، 2009 ، ج 1 ، ص 16)، وورد عنه أيضاً: (إنك امرؤ فيك جاهلية) (محمود شكري ، 2009 ، 1 ، ص 17) وهذا المعنى تقريباً وردت الكلمة في قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا (أبي الحسن الزوزني ، 1964 ، ص 249)

أي: لا يسفه أحد علينا، فنسفه عليهم فوق سفههم، أي نجازيهم جزاء يربي عليه. (جواد علي ، 1993 ، ج 1، ص 39)

من الناحية التاريخية: الجاهلية في المفهوم التاريخي تشير إلى الفترة التي سبقت ظهور الإسلام مباشرة في شبه الجزيرة العربية، أي قبل البعثة النبوية في القرن السابع

الميلادي. لا يُقصد بها فترة "الظلام التام" كما يُشاع أحياناً، بل هي مرحلة ما قبل التحول الديني والاجتماعي والسياسي الذي أحدثه الإسلام. فقد كان للعرب قبل الإسلام نظام اجتماعي قبلي، وشعر راقٍ، وتقاليد صارمة في الكرم والشجاعة والوفاء، لكنها كانت أيضاً مرحلة تفتقر إلى الوحدة السياسية والدين الموحد، لذلك يرى المؤرخون أن مصطلح الجاهلية لا يعني بالضرورة انعدام الحضارة أو الثقافة، بل هو وصف لحالة من الاضطراب الأخلاقي والعقائدي أكثر من كونه وصفاً زمنياً مطلقاً (عمر فروخ، 1970، ص 20)

إذن فالجاهلية في بعدها اللغوي تدل على الطيش والفسف وغياب الرشد، أما في بعدها التاريخي فهي المرحلة السابقة لظهور الإسلام، التي اتسمت بتعدد المعتقدات، وغياب الدولة المركزية، مع وجود مظاهر ثقافية واجتماعية متقدمة نسبياً في بعض المناطق. فهي ليست "انقطاعاً عن الحضارة"، بل مقدمة التحول الحضاري الذي مهّد لبعثة الإسلام، إذ جاء الإسلام ليبني على بعض القيم الإيجابية في المجتمع العربي ويُصلح ما كان فاسداً منها.

- تقسيم العرب إلى طبقات (البائدة، العاربة، المستعربة).

ينقسم العرب في المصادر التاريخية والأنساب القديمة إلى ثلاث طبقات رئيسية هي: العرب البائدة، العرب العاربة، والعرب المستعربة. هذا التقسيم نجده عند مؤرخين كبار مثل ابن هشام في السيرة النبوية، وابن خلدون في العبر، وجواد علي في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

أ-العرب البائدة:

يطلق هذا الاسم على القبائل العربية القديمة جداً التي بادت وانقرضت قبل ظهور الإسلام بزمان طويل من أشهر هذه القبائل: عاد، ثمود، طسم، جديس، عبد ضخم، جاسم وغيرها. وأهم ما يميزها أنّ أخبارها وصلتنا في شكل أساطير أو روايات متفرقة لا تخلو من المبالغة

كما ورد ذكر بعضها في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: "وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى، وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى" (سورة النجم، الآية 50-51).

تُعد هذه القبائل من أوائل من سكن الجزيرة العربية، وقد اشتهروا بعمرانهم وقوتهم، لكنهم زالوا بسبب كفرهم أو حروبهم الداخلية، لذلك سُمّوا بالبائدة. ولا تتوافر عنهم مصادر أثرية كافية، ما يجعل تاريخهم مزيجًا من الرواية الدينية والأسطورة الشعبية. (جواد علي، ج 1، ص 298-299)

ب-العرب العاربة (القحطانيون):

هم العرب الأصليون الذين تفرّعوا من يعرب بن قحطان، ومنه اشتقَّ اسم العرب. يُعرفون أيضًا بـ"عرب الجنوب" لأن موطنهم الأصلي كان اليمن ومناطق حضرموت وسبأ ومعين. تميّزت حضارتهم بالتقدم الزراعي والتجاري، وبقيام ممالك قوية مثل سبأ، حمير، ومعين. هؤلاء القحطانيون تكلموا اللغة العربية القديمة الجنوبية (الحميرية)، وهي تختلف عن العربية الشمالية التي تطورت لاحقًا. ومن نسلهم جاءت قبائل مشهورة مثل الأزد، كهلان، لخم، وجذام، تاريخيًا، يُعدّ العرب العاربة الركيزة الأصلية للعروبة في الجزيرة قبل ظهور العرب المستعربة. (جواد علي، ج 1، ص 354-356)

ج- العرب المستعربة (العدنانيون):

هم العرب الذين اكتسبوا العروبة اكتسابًا بعد مخالطتهم للعرب العاربة وتعلّمهم لغتهم وعاداتهم. ينحدرون من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، الذي سكن مكة وتزوج من قبيلة جرهم اليمنية، فتعلم لغتها العربية، وأصبح نسله عربيًا بالمخالطة، ومستعربة أي "صاروا عربيًا" أشهر بطونهم مضر، ربيعة، قريش، وتميم. وقد شكّلوا القوة الأساسية في شمال الجزيرة، وكان منهم النبي محمد ﷺ من قريش العدنانية. عرفت هذه القبائل

بالتجارة، و بنشوء المراكز الحضارية الكبرى مثل مكة ويثرب والطائف، مما جعلهم نواة المجتمع الذي استقبل الدعوة الإسلامية لاحقاً (جواد علي ، ج 1 ، ص 375-377)
بهذا التصنيف، يمكن القول إنّ تطور الهوية العربية مرّ بثلاث مراحل: من الجذور القديمة (العرب البائدة)، إلى الهوية الأصيلة (العاربة القحطانية)، ثم إلى الهوية المكتسبة المتوسعة (المستعربة العدنانية)، وهي التي ورثت الزعامة في شبه الجزيرة حتى فجر الإسلام.

-علاقة دراسة هذا التاريخ بفهم نشأة الإسلام.

إنّ دراسة تاريخ العرب قبل الدعوة الإسلامية ليست مجرد نبش في الماضي، بل هي ضرورة علمية ومنهجية لفهم السياق الذي نشأ فيه الإسلام وتطوّر داخله. فالدعوة الإسلامية لم تنشأ من فراغ، بل جاءت في بيئة لها جذورها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعقائدية، ومن ثم فإنّ إدراك هذه الجذور يساعد على فهم الرسالة نفسها ومغزاها التاريخي:

البيئة الجاهلية كمهد للفكر الإسلامي: لقد وُلد الإسلام في مجتمع عربي له قيمه وعاداته الراسخة. فكان المجتمع الجاهلي يقَدّس العصبية القبلية ويقوم على روابط الدم والنسب، لا على العقيدة. حين جاء الإسلام، لم يبلغ تلك الروابط فجأة، بل أعاد توجيهها من رابطة النسب إلى رابطة الإيمان، كما في قوله تعالى: "إنما المؤمنون إخوة" (سورة الحجرات ، الآية 10) ، ففهم طبيعة البنية القبلية يساعد على إدراك التحول الجذري الذي أحدثه الإسلام في مفهوم الانتماء الاجتماعي والسياسي (عمر فروخ ، 1970 ، ص 84)

الجانب الديني والعقائدي: كان العرب قبل الإسلام يعبدون الأصنام والأوثان، إلى جانب بقايا من الديانات السماوية كالحنفية واليهودية والمسيحية. هذا التعدد الديني يفسر كيف جاء الإسلام بمفهوم التوحيد الخالص كتصحيح عقائدي وردّ على مظاهر الشرك المنتشرة آنذاك. (عمر فروخ ، 1970 ، ص 42-43)، فمعرفة معتقدات العرب الجاهليين

تتيح فهم أسباب شدة تركيز القرآن على نفي الشرك والوساطة بين العبد وربّه، كما في قوله تعالى: "قل هو الله أحد") (سورة الإخلاص ، الآية 1)

الجانب اللغوي والثقافي: كانت اللغة العربية الجاهلية في أوج قوتها في الشعر والخطابة، فكانت وسيلة التعبير عن الفخر والحكمة. هذا الإرث اللغوي شكّل الأساس الذي نزل به القرآن الكريم، الذي جاء بأسلوب عربي فصيح يفوق بلاغة العرب أنفسهم. فدراسة الأدب الجاهلي تساعد على تقدير الإعجاز اللغوي للقرآن وفهم دلالاته الأصلية في سياقها التاريخي. كذلك تكشف دراسة العادات والأعراف عن طبيعة الإصلاح الأخلاقي الذي جاء به الإسلام في مجالات مثل مكانة المرأة، وأمانة الكيل والميزان، وتحريم الثأر والميسر والخمر. (محمود طلعت ، 2007 ، ص 90-98).

الجانب الاقتصادي والسياسي: يُظهر تاريخ العرب قبل الإسلام أنّ شبه الجزيرة كانت منطقة تجارية نشطة، تتوسط طرق القوافل بين الشام واليمن، وكان في مكة مركز تجاري مهم يرتبط بأسواق مثل عكاظ وذي المجاز. هذا يوضح كيف استفاد الإسلام من تلك البنية الاقتصادية في نشر الدعوة عبر طرق التجارة، وكيف مهّد وجود نظام تجاري منفتح لانتشار الإسلام خارج الجزيرة لاحقاً. (محمود طلعت ، 2007 ، ص 132-137)

البعد التاريخي الحضاري: فهم تاريخ العرب قبل الإسلام يتيح إدراك التحول الحضاري العميق الذي أحدثه الإسلام؛ من مجتمع قبلي متفرق إلى أمة موحدة ذات رسالة عالمية. فالمقارنة بين واقع العرب في الجاهلية وواقعهم بعد الإسلام تبرز بوضوح كيف استطاعت الدعوة أن تحوّل مجتمعاً رعوياً قبلياً إلى كيان حضاري منظم له مؤسسات سياسية ودينية وثقافية. إنّ دراسة تاريخ العرب قبل الدعوة الإسلامية هي مدخل لفهم طبيعة الرسالة المحمدية نفسها، فهي تكشف جذور التغيير الذي جاء به الإسلام، وتوضح كيف تعامل مع الموروث الجاهلي بالإصلاح لا بالقطيعة. فمن لا يفهم الجاهلية، لا يستطيع أن يدرك عظمة التحول الذي صنعه الإسلام في الإنسان والمجتمع العربي.

موقع الجزيرة العربية في السياق الحضاري القديم: تُعد الجزيرة العربية من أبرز المناطق التي كان لها تأثير واضح في التاريخ الإنساني القديم، سواء من حيث موقعها الجغرافي أو من حيث دورها في نشأة وتفاعل الحضارات القديمة. لفهم نشأة الإسلام وتطوره، لا بد من إدراك موقع الجزيرة في السياق الحضاري العام للعالم القديم، لأنها لم تكن معزولة كما يُتصوّر أحياناً، بل كانت حلقة وصل بين حضارات كبرى.

الموقع الجغرافي ودلالته الحضارية: تقع الجزيرة العربية في قلب العالم القديم، بين ثلاث قارات: آسيا، إفريقيا، وأوروبا، وتحدها من الشمال بلاد الشام والعراق، ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الشرق الخليج العربي، ومن الغرب البحر الأحمر. هذا الموقع جعلها جسراً برياً وبحرياً لمرور القوافل التجارية والهجرات البشرية والحملات العسكرية منذ أقدم العصور. فقد مرّت عبرها طرق القوافل التي تربط بلاد الرافدين ومصر بالهند وشرق إفريقيا، كما كانت ملتقى لتبادل السلع والثقافات والأفكار. وهذا الموقع الحيوي أكسبها أهمية استراتيجية في السياسة والتجارة منذ الألف الثالث قبل الميلاد. (محمود طلعة، 2007 ، ص 11)

كما أنّ ابن خلدون تطرق إليها، ويعتبرها كأنها داخلية من البرّ في البحر "يحيط بها البحر الحبشي من الجنوب، وبحر القلزم من الغرب، وبحر فارس من الشرق، وتفضي إلى العراق فيما بين الشام والبصرة على ألف وخمسمائة ميل بينهما". ويبدو أن ما ذكره ابن خلدون هو الأقرب إلى ما تعارف عليه المؤرخون من تحديد لجغرافية بلاد العرب في الحالة التي كانت عليها قبل قرنين من الزمان من ظهور الإسلام. (سميح دغيم ، 1995 ، ص 14)

علاقتها بالحضارات المجاورة: كانت الجزيرة العربية على تماس مباشر مع أقدم الحضارات في التاريخ (سميح دغيم ، 1995 ، ص 36-40)

- من الشمال، حضارة بلاد الرافدين، التي أثّرت في غرب الشمال من خلال التبادل التجاري والثقافي، وخاصة في ممالك مثل الأنباط وتدمر.

- من الغرب، الحضارة المصرية القديمة، التي كانت تتبادل مع غرب شبه الجزيرة البخور والعطور والذهب القادم من جنوب الجزيرة.

- من الشرق، حضارات فارس وبلاد السند، التي أثّرت في التجارة البحرية عبر الخليج العربي.

- ومن الجنوب، حضارات اليمن القديمة، مثل سبأ ومعين وقتبان وحمير، التي شكّلت امتدادًا حضاريًا قويًا داخل الجزيرة نفسها، وكانت على علاقة دائمة بممالك الحبشة وإثيوبيا والهند.

هذه العلاقات تُظهر أن العرب قبل الإسلام لم يكونوا بمعزل عن التطور الحضاري في المنطقة، بل كانوا جزءًا من شبكة واسعة من التفاعل التجاري والثقافي.

المراكز الحضارية داخل الجزيرة: لم تكن الجزيرة العربية كتلة واحدة من الصحراء القاحلة كما يُظن أحيانًا. فقد وُجدت فيها مناطق حضارية متقدمة:

- جنوب الجزيرة (اليمن): ممالك سبأ ومعين وسبأ وذي ريدان، التي اشتهرت بالزراعة بفضل سد مأرب وبنظام ري متطور، وبالتجارة الدولية في اللبان والمرّ.

- شمال الجزيرة: ممالك دومة الجندل، لحيان، ودادان، التي كانت مراكز تجارية على طريق القوافل بين الشام واليمن.

- الحجاز: خاصة مكة ويثرب والطائف، التي ازدهرت تجاريًا ودينيًا قبل الإسلام، وكانت مركزًا للحج وملتقى القبائل.

هذه المراكز تدل على أن الجزيرة كانت فسيفساء حضارية تتنوع فيها أنماط الحياة بين البداوة والحضارة، الزراعة والتجارة، مما جعلها مهيةً لاستقبال رسالة توحيد تجمع بين هذه الفئات المختلفة (محمود طلعت حرب ، 2007 ، ص 12-14)

الدور التجاري والثقافي: أصبحت الجزيرة العربية، بفضل موقعها، محورًا للتجارة العالمية القديمة، خصوصًا تجارة البخور والتوابل التي كانت تُصدّر إلى مصر والرومان والفرس. هذا النشاط التجاري أوجد طبقة من التجار المتصلين بالحضارات الأخرى، وسمح بتسرب الأفكار الدينية والثقافية المختلفة إلى الداخل العربي. فقد عرف العرب في الجاهلية قصص الأنبياء والكتب السماوية السابقة من خلال احتكاكهم باليهود والنصارى في اليمن ونجران ويثرب، وهو ما مهّد ذهنيًا لاستقبال الرسالة الإسلامية.

البعد الحضاري العام: عند النظر إلى الجزيرة العربية في الإطار الواسع للحضارة الإنسانية، يتضح أنها كانت منطقة عبور وتأثير متبادل أكثر من كونها مركزًا منعزلًا. لقد أسهمت في نشر اللغة السامية والعادات الاجتماعية والتقاليد القبلية التي انتقلت لاحقًا إلى الشام والعراق. ثم جاء الإسلام ليحوّل هذا الموقع الجغرافي الاستراتيجي إلى مركز إشعاع حضاري عالمي امتد لاحقًا من الأندلس إلى الصين. (حسين الحاج حسن ، 1992 ، ص 20-21)

موقع الجزيرة العربية جعلها مفتاح التفاعل بين الشرق والغرب في العالم القديم، ومهّد لأن تكون مهد الرسالة الإسلامية. فهي لم تكن أرضًا هامشية، بل ملتقى الحضارات ومركزًا للتبادل التجاري والثقافي، الأمر الذي يفسر كيف استطاعت الدعوة الإسلامية، انطلاقًا منها، أن تنتشر بسرعة عبر العالم القديم، لأنها خرجت من بيئة كانت أصلًا متصلة ومؤثرة في محيطها الإقليمي

التحديات التي تواجه الباحث في دراسة هذه المرحلة :

1. تُعدّ مرحلة ما قبل الدعوة الإسلامية من أصعب الفترات التاريخية التي يتعامل معها الباحثون، نظرًا لندرة المعطيات المباشرة وتداخل الأسطورة بالتاريخ. لذلك فإنّ دراسة هذه المرحلة تطرح أمام المؤرخ جملة من التحديات العلمية والمنهجية، تجعل عملية التحليل والتفسير عملاً دقيقًا يتطلب نقدًا متأنّيًا للمصادر، ومقارنة بين الأدلة المادية والنصوص الأدبية. (عبدالعزیز صالح ، 1992 ، ص 20-21)

ندرة المصادر المباشرة: ان العائق الاكبر في دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام هي قلة الوثائق الأصلية التي تعود إلى تلك الفترة. فالعرب لم يكن لديهم آنذاك نظام تدوين شامل، وكانت ثقافتهم شفوية تقوم على الرواية والشعر والخطابة، لا على التوثيق والكتابة. لهذا يعتمد الباحثون على المصادر الخارجية مثل النقوش اليمنية القديمة، والنقوش النبطية والشمودية، والروايات التي نقلها المؤرخون المسلمون بعد الإسلام بقرون. هذه الفجوة الزمنية بين الحدث وروايته تفتح الباب أمام التحريف أو التأويل، وتجعل من الضروري تطبيق المنهج النقدي عند استخدام أي مصدر.

تداخل الأسطورة بالتاريخ: تاريخ العرب البائدة (كعاد وثمود وطسم وجديس) مثلاً، يصلنا في أغلب الأحيان من خلال الروايات الدينية أو الأسطورية، ولا نجد له دعمًا أثريًا كافياً. أي أنها تميل إلى الرمز والموعظة أكثر من التوثيق التاريخي. لذلك يواجه الباحث صعوبة في التمييز بين ما هو أسطوري عقائدي، وبين ما هو حدث واقعي مدعوم بأدلة مادية. وهنا تبرز أهمية المنهج المقارن بين النصوص والآثار والنقوش.

الاعتماد على روايات ما بعد الإسلام: كثير من المعلومات عن الجاهلية كتبها مؤرخون مسلمون مثل الطبري، ابن هشام، والمسعودي، بعد ظهور الإسلام بقرون. وبالتالي، فإنّ نظرتهم إلى الجاهلية كانت من منظور ديني تقويي، أي يحكمون على الماضي بمعايير الإسلام. هذا يجعل الباحث الحديث أمام ضرورة التمييز بين الرواية التاريخية والرؤية الأخلاقية للمؤرخ المسلم. فالهدف لم يكن دائماً تسجيل الوقائع كما هي، بل استخلاص العبرة والمقارنة بين الجاهلية والإسلام

صعوبات اللغة والنقوش القديمة: الكتابات العربية الجنوبية (الحميرية والسبئية) تختلف لغوياً عن العربية الشمالية التي أصبحت لاحقاً لغة القرآن. قراءة هذه النقوش تتطلب معرفة لغات سامية قديمة، مثل السبئية والشمودية واللحيانية والنبطية، وهي

لغات لم يُفك رموزها إلا جزئياً. كما أن العديد من النقوش ما زال قيد الدراسة أو لم يُكتشف بعد، مما يجعل البيانات الأثرية ناقصة ومتقطعة.

التحيز الديني أو القومي في تفسير الأحداث: من التحديات الحديثة أيضاً أن بعض الباحثين سواء العرب أو الغربيين يقعون في فخّ التحيز الإيديولوجي، فيقرؤون تاريخ الجزيرة العربية إما بروح تمجيدية قومية، أو من زاوية استشراقية متعالية. هذا يُنتج قراءات غير موضوعية، تُضخم جوانب معينة (كالحضارة اليمنية أو قريش)، وتهمل أخرى (كالبدعوة أو الممالك الشمالية). في حين أن المقاربة العلمية تقتضي تحليل الوقائع كما هي دون إسقاطات سياسية أو دينية.

غياب التنسيق بين الدراسات الأثرية والتاريخية: رغم تطور علم الآثار في اليمن وشمال الجزيرة، إلا أن البحوث الميدانية الأثرية لم تُوظف دائماً بالشكل الكافي في الدراسات التاريخية. هناك نقص في التكامل بين الباحثين في التاريخ واللغات القديمة والآثار، مما يؤدي إلى قراءات مجزأة وغير متجانسة. فكثير من النتائج الأثرية الحديثة لم تُدمج بعد في الروايات التاريخية التقليدية، مما يؤخر تحديث صورة الجاهلية بشكل علمي متكامل. (عبد تالعزيز صالح ، 1992 ، ص 15-16)

التحديات التي تواجه الباحث في دراسة تاريخ العرب قبل الدعوة الإسلامية تتمثل في ندرة الوثائق، وتداخل الرواية بالأسطورة، وبعد المصادر زمنياً، وصعوبة اللغات القديمة، والتحيزات التفسيرية. ومع ذلك، فإنّ هذه التحديات ليست عائقاً نهائياً، بل حافزاً لتطوير أدوات البحث التاريخي عبر المقارنة والتحليل والنقد، مما يسمح بإعادة بناء صورة أكثر واقعية لتاريخ العرب قبل الإسلام.

المصادر المادية لدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام

1. المكتشفات الأثرية العمرانية والاقتصادية والدينية: أعاد علم الآثار الحديث رسم خريطة التاريخ العربي القديم، فأثبت أن الجزيرة العربية لم تكن هامشاً منسياً، بل جزءاً فاعلاً من النسيج الحضاري للعالم القديم. فقد مكّن هذا العلم الباحثين من تجاوز محدودية الروايات الأدبية، والاعتماد على شواهد مادية مباشرة، مثل النقوش، والمدن المكتشفة، وشبكات التجارة، التي تعكس واقع المجتمعات العربية قبل الإسلام. وقد كشفت التنقيبات الأثرية أن العرب عرفوا مراكز حضرية مزدهرة، ونظماً سياسية واقتصادية ودينية متقدمة في مناطق عدة، ما ينفي الصورة النمطية التي اختزلت الجزيرة العربية في فضاء معزول أو متخلف. وبذلك تحوّل علم الآثار من أداة مساعدة إلى ركيزة أساسية في كتابة التاريخ العربي القديم، مقدّماً فهماً أكثر موضوعية وواقعية لتطوّر المجتمع العربي قبل ظهور الإسلام.

- المدن العربية القديمة ودلالاتها الحضارية: أظهرت المكتشفات الأثرية وجود مدن عربية لعبت أدواراً سياسية واقتصادية ودينية مهمّة قبل الإسلام، من أبرزها: تدمر، نجران، مأرب، والحيرة. وتمثل هذه المدن نماذج مختلفة لتنوّع البيئات الحضرية في الجزيرة العربية ومحيطها.

- تدمر تقع تدمر في بادية الشام، بين الفرات ودمشق، وقد كانت من أهم المدن العربية المزدهرة قبل الإسلام، خصوصاً في القرنين الأول والثالث الميلاديين. كانت موقعها الاستراتيجي في منتصف الطريق بين بلاد الرافدين والساحل السوري سبباً في ازدهارها التجاري، فصارت مركزاً للتجارة بين الرومان والفرس والعرب. أهم ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية في تدمر هو وجود معابد ضخمة مثل معبد بل ومعبد بعل شمين، ونقوش باللغتين الآرامية والعربية التدمرية، تذكر أسماء القبائل العربية التي سكنت المنطقة وتدل على تأثير الثقافة العربية في بلاد الشام قبل الإسلام. كما تُظهر النقوش التنظيم السياسي للمدينة، إذ كان يحكمها مجلس شيوخ ورئيس منتخب، ما يدل على وجود شكل من أشكال الحكم الذاتي. وتؤكد المصادر الرومانية أنّ الملكة زنوبيا، في

القرن الثالث الميلادي، أسست دولة عربية مستقلة في تدمر، نافست روما نفسها (إغناطيوس غويدي ، 1986 ، ص 13-16)

- نجران تقع نجران في جنوب الجزيرة العربية، قرب الحدود اليمنية، وكانت من أقدم المراكز الدينية والتجارية قبل الإسلام. ارتبطت نجران تاريخياً بتجارة العطور التي كانت تصدر إلى بلاد الشام والحبشة والهند. وقد كشفت الحفريات الأثرية عن نقوش سبئية ولحيانية تشير إلى أن المدينة كانت خاضعة لحكم الممالك اليمنية القديمة، ثم أصبحت لاحقاً مركزاً للديانة المسيحية في القرن السادس الميلادي، قبل ظهور الإسلام بقليل، أشهر حدث ارتبط بنجران هو حادثة أصحاب الأخدود، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم: "قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ" (سورة البروج ، الآية 4)، وهي حادثة حرق جماعي للمسيحيين في عهد ذو نواس الحميري. وجود الكنائس والكتابات الدينية في نجران يؤكد أنها كانت منارة دينية وثقافية، ومركزاً للتفاعل بين الأديان السماوية قبل الإسلام (حسين الحاج حسن ، 1992 ، ص 25-26)

- مأرب تُعد مأرب من أعظم المدن القديمة في جنوب الجزيرة العربية، وكانت عاصمة مملكة سبأ التي ازدهرت بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن الثالث الميلادي. أبرز ما اكتُشف فيها هو سد مأرب الشهير، الذي يُعتبر من أضخم المشاريع الهندسية في التاريخ القديم. هذا السد مثّل نظام ريّ متكامل مكّن السبئيين من تحويل الصحراء إلى أراضٍ زراعية خصبة. النقوش السبئية التي عُثر عليها في مأرب، والمكتوبة بخط المسند الجنوبي، تُسجّل أخبار الملوك والقرايين والمعابد، وتكشف عن تنظيم إداري واقتصادي متطور. كما تُظهر النقوش أنّ السبئيين عبدوا آلهة متعددة، أشهرها المقه وعثر، وأنهم مارسوا التجارة مع الحبشة والهند عبر ميناء قنا. انهيار سد مأرب – كما ورد في القرآن الكريم: "فَاعْرِضْهُمَا فَاَْرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سِيلَ الْعَرَمِ" (سورة سبأ ، الآية 16) كان سبباً

في هجرة القبائل اليمنية شمالاً، مثل الأزد وغسان ولخم، مما أثر في التركيبة السكانية للجزيرة قبل الإسلام

- الحيرة تقع الحيرة قرب مدينة الكوفة الحالية في العراق، وكانت عاصمة المناذرة (الخميين)، الذين حكموا المنطقة من القرن الثالث إلى السادس الميلادي. كانت الحيرة دولة عربية تابعة للفرس الساسانيين، ولعبت دور الوسيط بين الفرس والعرب. كشفت التنقيبات في موقع الحيرة عن قصور فخمة مثل قصر الخورنق وقصر السدير، إضافة إلى مقابر ملكية ونقوش بالخط النبطي المتأخر. كما وجدت فيها كنائس وأديرة، إذ كانت مركزاً للديانة المسيحية النسطورية، وملتقىً للشعراء والعلماء العرب، مثل عدي بن زيد وامرئ القيس، الذين عاشوا في بلاط ملوكها. وجود هذا المركز الثقافي العربي في شمال الجزيرة يُظهر أن العرب قبل الإسلام لم يكونوا معزولين، بل ساهموا في الحياة الفكرية والدينية والسياسية للعالم الساساني والبيزنطي. (إغناطيوس غويدي ، 1986 ، ص 22-24)

الدلائل الأثرية على النشاط التجاري قبل الإسلام: تكشف اللقى الأثرية وشبكات الطرق القديمة أن العرب شاركوا بفعالية في التجارة الدولية، مستفيدين من موقع الجزيرة العربية كحلقة وصل بين الهند وشرق إفريقيا وبلاد الشام والعراق. وقد دلت الطرق التجارية، وعلى رأسها طريق البخور، والقطع النقدية الأجنبية، والأواني المستوردة، على وجود اقتصاد منظم وأسواق موسمية مزدهرة مثل عكاظ ومجنة وذى المجاز. (حسن الحاج حخن، 1992 ، ص 25-26)

الشواهد الأثرية على الممارسات الدينية: أثبتت المعابد والتماثيل والنقوش الدينية تعدد المعتقدات في الجزيرة العربية قبل الإسلام. فقد عبد العرب آلهة محلية وكوكبية، مثل اللات والعزى والمقه، إلى جانب انتشار اليهودية والمسيحية في بعض المناطق كاليمن ونجران والحيرة. ويُظهر هذا التنوع الديني أن البيئة العربية كانت مهياً فكرياً

وروحياً للتحوّل الديني الكبير الذي جاء به الإسلام. (حسين الحاج حسن ، 1992 ، ص 27)

النقوش العربية القديمة ودورها في إعادة بناء التاريخ قبل الإسلام: تُعد النقوش العربية القديمة من أهم المصادر المادية المباشرة، لأنها تمثل شهادة داخلية كتبها العرب أنفسهم بلغاتهم ولهجاتهم، دون تدخل مؤرخين متأخرين. وقد ساعدت هذه النقوش على فهم تطور اللغة العربية، والنظم السياسية، والعقائد الدينية، والعادات الاجتماعية.

أنواع النقوش العربية ومجالات انتشارها :

تنقسم النقوش المكتشفة في الجزيرة العربية إلى مجموعات رئيسية، تعكس تنوّع البيئات الحضارية:

- **النقوش الصفائية:** سُمّيت بهذا الاسم نسبةً إلى منطقة الصفا الواقعة شرق جبل الدروز في البادية السورية الأردنية، حيث عُثِر على آلاف النقوش المنقوشة على الصخور البركانية. تُعد هذه النقوش من أقدم ما كُتِب باللهجات العربية الشمالية القديمة، ويُعتقد أن أصحابها كانوا من البدو الرّحّل الذين عاشوا في الصحراء الممتدة بين حوران وشمال الجزيرة. تتناول النقوش الصفائية موضوعات حياتية بسيطة: تسجيل أسماء الكتّاب، وصف الرحلات، ذكر الأحوال المناخية، طلب المطر... تُظهر هذه النقوش ملامح الحياة اليومية للعرب الرّحّل قبل الإسلام، وتقدّم صورة لغوية مهمة ساعدت الباحثين على تتبّع تطوّر اللغة العربية. (جواد علي ، ج 1 ، ص 44-52)

- **النقوش الثمودية:** تُعتبر النقوش الثمودية من أكثر النقوش انتشاراً في شمال الجزيرة العربية، وقد سُمّيت كذلك نسبةً إلى قوم ثمود الذين ذُكروا في القرآن الكريم "كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا" (سورة الشمس ، الآية 11). عُثِر على هذه النقوش في مناطق تمتد من تيماء وتبوك والحجر (مدائن صالح) حتى العلا، وهي مكتوبة بخط عربي شمالي قديم قريب من الخط الصفائي. تناولت النقوش الثمودية موضوعات متعددة، منها الدعاء

للآلهة، تسجيل أسماء الأشخاص والقبائل، الإشارة إلى الصيد أو التنقل، وأحياناً التأريخ لبعض الأحداث. أهم ما تميّزت به هذه النقوش أنها تمثل حلقة انتقالية في تطوّر الكتابة العربية، إذ ساهمت في نشوء الخط النبطي ثم الخط العربي لاحقاً

النقوش اللحيانية: النقوش اللحيانية من آثار مملكة لحيان التي ازدهرت في منطقة الغلا شمال غرب الجزيرة العربية بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد. تُظهر هذه النقوش نظاماً إدارياً متقدماً، وتتناول أموراً دينية وتجارية وسياسية، منها النصوص التي تسجل القرابين للآلهة، والعقود التجارية، وأسماء الملوك والحكام. تميّزت النقوش اللحيانية بخطها الخاص المعروف بـ"اللحاني"، وهو قريب من المسند الجنوبي لكنه متكيف مع اللغة العربية الشمالية. كما أظهرت أن مملكة لحيان كانت محوراً تجارياً مهماً بين جنوب الجزيرة وبلاد الشام، وهو ما تؤكد كثره الإشارات إلى القوافل والتجارة والضرائب في النقوش المكتشفة.

النقوش السبئية: النقوش السبئية هي من أبرز ما خلفته مملكة سبأ في اليمن، وتُعد من أقدم وأغزر النقوش العربية الجنوبية. كُتبت بخط المسند الجنوبي الذي انتشر في مناطق اليمن القديم. تُظهر هذه النقوش أن مملكة سبأ كانت ذات نظام ملكي قوي، وتُشير إلى مشاريع عمرانية كبرى مثل سد مأرب، وتنظيم الري، وإدارة الموارد، والعلاقات مع الممالك المجاورة. كما عكست النقوش السبئية الحياة الدينية والسياسية المتطورة، إذ وردت فيها أسماء الآلهة الكبرى مثل *المقه*، *عثتر*، *وذات حميم*، وأسماء الملوك السبئيين، ما مكّن الباحثين من وضع تسلسل زمني دقيق لتاريخ اليمن القديم. وقد تجاوز عدد النقوش السبئية المكتشفة أكثر من عشرة آلاف نقشا، ما يجعلها من أغنى المصادر التي ساعدت على رسم صورة دقيقة للحضارة العربية الجنوبية قبل الإسلام.

- **النقوش الحميرية:** تمثل النقوش الحميرية المرحلة الأخيرة من تطور الكتابة في جنوب الجزيرة، إذ خلفتها مملكة حمير التي سيطرت على اليمن بعد انهيار سبأ في القرن الأول قبل الميلاد. تتميز هذه النقوش باستخدامها لغة قريبة من العربية الفصحى مقارنة

بالنقوش السبئية، مما جعلها حلقة وصل بين لغات الجنوب العربي واللغة العربية القرآنية لاحقاً. تتناول النقوش الحميرية موضوعات سياسية وعسكرية ودينية، إذ تذكر أسماء الملوك، وأحداثاً كالحروب، والتحالفات، والتحوّل الديني نحو اليهودية في أواخر عهد المملكة. كما أظهرت هذه النقوش أن مملكة حِمير كانت على اتصال مباشر بالإمبراطوريات الكبرى، مثل الفرس والروم والأحباش، وأنها كانت ركيزة مهمة في التجارة البحرية عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي

ما تكشفه النقوش عن الحياة السياسية والدينية والاجتماعية: تدل النقوش على وجود دول عربية ذات سلطة مركزية، وملوك، ومجالس حكم، ونظم ضريبية، وعلاقات دبلوماسية مع القوى الكبرى. وهذا يفنّد الصورة النمطية التي حصرت العرب قبل الإسلام في القبائل المتفرقة بلا نظام سياسي. كما أظهرت النقوش تعدّد المعتقدات الدينية، من الوثنية إلى التوحيد، كما عكست القيم الاجتماعية السائدة مثل العصبية القبلية، الفخر بالأنساب، الشجاعة، والكرم. وأشارت بعض نقوش الجنوب إلى مشاركة المرأة في الحياة الاقتصادية والدينية، ما يدل على تنوّع الأدوار الاجتماعية. (عبد العزيز صالح ، 1992 ، ص 8-9)

القيمة العلمية للنقوش في تصحيح السرد التاريخي: أسهمت النقوش في مراجعة النصوص الأدبية القديمة، وتصحيح كثير من الأحكام المسبقة حول "الجاهلية"، مبيّنة أن هذا المصطلح يصف وضعاً دينياً وأخلاقياً، لا غياباً للحضارة أو التنظيم. وبذلك أصبح علم الآثار والنقوش أداة علمية حاسمة في إعادة كتابة تاريخ العرب قبل الإسلام على أسس مادية دقيقة. (عبد العزيز صالح ، 1992 ، ص 19)

تُظهر مجمل هذه النقوش أن العرب قبل الإسلام عاشوا في مجتمعات متنوعة ومتطورة بدرجات متفاوتة، تجمع بين البداوة والحضارة. كانت لديهم سلطة سياسية، وتنظيم ديني، ونظام اجتماعي قائم على القبيلة والقربة. وإذا كانت الروايات الإسلامية

قد ركزت على الجانب الأخلاقي والديني لمرحلة "الجاهلية"، فإن النقوش تكشف عن عمق حضاري حقيقي سبق الإسلام، وعن شعوب تمتلك أنظمة سياسية واقتصادية ودينية متكاملة. لقد غيّرت هذه النقوش النظرة النمطية عن العرب قبل الإسلام، وأثبتت أن الإسلام لم يظهر في فراغ حضاري، بل في أرض كانت مهياة ثقافياً واجتماعياً وروحياً لاستقبال دعوة التوحيد.

المصادر الأدبية والتاريخية

1. المصادر العربية والإسلامية: تعدّ المصادر الأدبية والإسلامية الركيزة الأساسية لفهم تاريخ العرب قبل الإسلام، إذ تشكّل المدونات العربية الأولى التي حفظت لنا ملامح المجتمع العربي في جاهليته، وسجّلت تطوّره مع ظهور الدعوة الإسلامية. ويمكن تمييز أهم هذه المصادر في أربعة محاور رئيسية:

القرآن الكريم: جاء فيه أصدق الحقائق التاريخية التي تعكس صورة واضحة عن أحوال العرب قبل الإسلام، سواء في عقائدهم أو سلوكهم أو نظمهم الاجتماعية. فهو لم يأت في فراغ تاريخي، بل نزل في بيئة واقعية محدّدة، فعبر عن ثقافة مجتمع قائم، وانتقد ممارساته، وصحّح انحرافات. يتحدث القرآن عن مظاهر الجاهلية كعبادة الأصنام وهذا في قوله تعالى: "أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ" وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ" (سورة الزمر ، الآية 3) وأوضاع المرأة في المجتمع "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ" (سورة النحل ، الآية 58)، والنظام القبلي القائم على العصبية والانتقام . ومن خلال هذه الإشارات يمكن استنباط معطيات دقيقة حول البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. كما يقدم القرآن الكريم إشارات حضارية بالغة الأهمية إلى المدن العربية القديمة مثل سبأ، ثمود ومدين.

الحديث النبوي والسيرة النبوية: يُكمل الحديث النبوي الشريف القرآن في وصف المجتمع العربي قبل الإسلام، إذ نجد في أقوال النبي ﷺ إشارات واضحة إلى الأعراف والتقاليد الجاهلية، مثل النهي عن التفاخر بالأنساب، والعصبية القبلية، وشرب الخمر. وقد جمعت كتب الحديث الكبرى (كالبخاري، ومسلم، وأبي داود) كثيرًا من الروايات التي تتحدث عن واقع العرب قبل البعثة، مما يتيح فهمًا أدقّ للتحوّلات الفكرية والاجتماعية التي أحدثها الإسلام.

أما السيرة النبوية، وبخاصة ما كتبه ابن إسحاق (ت 151هـ) في السيرة والمغازي، وما نقله ابن هشام في تهذيبه، فتعدّ من أهمّ المراجع التاريخية التي تجمع بين الرواية الدينية والتأريخ الاجتماعي والسياسي للجزيرة. فهي لا تكتفي بسرد حياة النبي ﷺ، بل تبدأ بعرض شامل لتاريخ العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية، مما يجعلها وثيقة بالغة الأهمية لدراسة تلك المرحلة

الشعر الجاهلي كمصدر لتاريخ العرب: الشعر الجاهلي هو ديوان العرب كما كان يُقال، لأنه حفظ لغتهم، ومفاخرهم، وأيامهم، وأعرافهم. ومن خلاله يمكننا معرفة نظام القبيلة، وطرائق المعيشة، والعلاقات الاجتماعية، والنظرة إلى المرأة، بل وحتى طبيعة البيئة الصحراوية. من أهم الشعراء الذين حفظت لنا أشعارهم صورة واضحة عن تلك المرحلة: امرؤ القيس، عنترة بن شداد، زهير بن أبي سلمى، والأعشى (عبد العزيز صالح ، 1992 ، ص 13). إلا أن قيمة الشعر الجاهلي كمصدر تاريخي يجب أن تؤخذ بحذر، لأن كثيرًا منه وصلنا عن طريق الرواية الشفوية بعد الإسلام، ما يفتح الباب لاحتمال التصرف أو الانتحال. ومع ذلك، فإن الدراسات اللغوية والأنثروبولوجية الحديثة تؤكد أن الشعر الجاهلي، رغم ما يعتريه من شكوك جزئية، يظلّ مرآة دقيقة للمجتمع العربي في عصر ما قبل الإسلام

كتب الأخبار والأنساب: تُعتبر كتب الأخبار والأنساب من المصادر الأدبية التي حفظت لنا تفاصيل دقيقة عن القبائل العربية، أصولها، هجراتها، أيامها، حروبها، وعلاقاتها بالبيئات المجاورة. ومن أبرز هذه المؤلفات:

- كتاب "السيرة النبوية" لابن هشام (ت 213هـ)، الذي جمع أخبار العرب قبل الإسلام ضمن مقدمة سيرته.
- تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، الذي ربط بين تاريخ العرب والأنبياء السابقين، وجعل من الجاهلية مرحلة تمهيدية لظهور الإسلام.
- المعارف لابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، الذي دَوّن فيه أنساب العرب، وأيامهم، ومآثرهم قبل الإسلام.
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي (ت 456هـ)، الذي يُعدّ مرجعاً مهماً في دراسة البنية القبلية للعرب.

هذه الكتب تُظهر أن اهتمام العلماء المسلمين لم يكن دينياً فحسب، بل تاريخياً أيضاً، إذ سعوا إلى حفظ التراث العربي وتوثيقه، وربطه بسياق الوجود الإسلامي اللاحق (عبدالعزیز صالح ، 1992 ، ص 12)

القرآن والحديث يمثلان الجانب التوثيقي الإلهي والنبوي، بينما الشعر وكتب الأنساب يقدمان البعد الإنساني والاجتماعي. ومن مجموعها يمكن بناء صورة متكاملة عن حياة العرب قبل الدعوة الإسلامية، من عقائدهم وقيمهم إلى نظمهم الاجتماعية والسياسية.

2. المصادر الأجنبية: تُعدّ المصادر الأجنبية من الركائز المكملّة لفهم تاريخ العرب قبل الإسلام، إذ تسدّ بعض الثغرات التي لم تغطها الروايات العربية أو النقوش المحلية. فقد تركت الحضارات المجاورة كاليونان، والرومان، والسريان، والفرس، والأحباش نصوصاً وكتابات تناولت العرب في سياقات مختلفة: جغرافية، سياسية، أو دينية. غير أن التعامل مع هذه المصادر يقتضي وعياً نقدياً بمنهجها واتجاهاتها الفكرية.

النصوص اليونانية والرومانية (سترابون، بلينيوس...): من أقدم ما وصلنا عن العرب ما دوّنه الجغرافيون والمؤرخون الإغريق والرومان. فقد تناول سترابون في كتابه *الجغرافيا* وصفًا تفصيليًا لشبه الجزيرة العربية، فقسمها إلى ثلاثة أقسام: جنوب الجزيرة، أي اليمن، *العربية الصحراوية*، و*العربية الصخرية* (شمال الحجاز). أشار إلى خصوبة اليمن وغناها التجاري، وإلى الدور التجاري المهم الذي لعبه العرب في تجارة البخور والتوابل والذهب، أما بلينيوس الأكبر في موسوعته *التاريخ الطبيعي*، فقد قدّم معلومات عن المدن والقبائل العربية، مثل الأنباط وأهل سبأ، وتحدّث عن طرق القوافل التي تربط اليمن بالشام ومصر، مشيرًا إلى أن العرب كانوا يسيطرون على تجارة البحر الأحمر. كما نجد إشارات في كتابات بطليموس الجغرافي، الذي وضع خرائط تضم مواقع القبائل والمدن العربية القديمة. غير أن هذه الكتابات يغلب عليها الطابع الوصفي، وتفتقر أحيانًا إلى الدقة الميدانية، لأنها اعتمدت على روايات الرحالة والتجار أكثر من المشاهدة المباشرة. (جواد علي، ج 1، ص 56-58)

النصوص السريانية، العبرانية، النصرانية والمصرية: تشكل هذه النصوص مصدرًا دينيًا وتاريخيًا مهمًا لدراسة عرب الشمال خصوصًا. فقد ورد ذكر العرب في نصوص عديدة تعود إلى القرنين الرابع والخامس الميلاديين، حيث يوصفون على أنهم شعوب بدوية كانت تتحرك على حدود الشام والعراق، وأن بعضهم دخل في تحالفات مع الإمبراطورية البيزنطية (عبدالعزیز صالح، 1992، ص 10)

أما في النصوص العبرانية، فقد ورد ذكر العرب في العهد القديم، لا سيما في سفر إشعياء وسفر إرميا، حيث ذُكروا كجيران لإسرائيل، يتاجرون بالذهب والجمال، ويعيشون حياة التنقّل في الصحراء. هذه الإشارات، رغم طابعها الديني، تعطي فكرة عن علاقات العرب بالشعوب السامية الأخرى في المشرق القديم (جواد علي، ج 1، ص 53-55)

تكتسب هذه النصوص أهميتها من أنها تُظهر اتصال العرب المبكر بالأمم الكتابية، وتدل على أن الثقافة العربية لم تكن معزولة عن المؤثرات الحضارية في المنطقة.

المصادر الفارسية والحديثة: أما المصادر الفارسية، فقد ورد فيها ذكر العرب في النقوش الملكية الأخمينية، خاصة في نصوص دارا الأول (داريوس) في نقش بيستون، حيث يُذكر "أربايا" كإحدى الشعوب الخاضعة للنفوذ الفارسي في القرن السادس قبل الميلاد. كما تناولت النقوش الساسانية أخبار القبائل العربية المتحالفة مع الفرس مثل المناذرة في الحيرة، الذين لعبوا دور الوسيط السياسي والعسكري بين الدولة الساسانية والقبائل العربية

وفي المقابل، جاءت النصوص الحبشية (خاصة نقوش ملوك أكسوم مثل *عيزانا*) لتوثق الصراع السياسي والديني في اليمن بين الأحباش والحميريين في القرنين الرابع والسادس الميلاديين. أحد النقوش الأكسومية يصف حملة الملك عيزانا ضد اليمنيين الذين اتهموا باضطهاد المسيحيين، ما يعطي صورة دقيقة عن التحولات الدينية والسياسية في جنوب الجزيرة قبل الإسلام

نقد هذه المصادر من حيث التوجهات والانحيازات (49)

على الرغم من القيمة الكبيرة لهذه النصوص، إلا أن الباحث لا يمكن أن يتعامل معها كمادة محايدة، لأنها كُتبت من منظور خارجي يعبر عن رؤية الشعوب المجاورة للعرب. فالمؤرخون اليونان والرومان نظروا إلى العرب بعين استعمارية تجارية، فرسموا صورة *استشراقية* مبكرة للعرب كقوم يعيشون في صحراء قاسية، ويخضعون لعادات بدوية جامدة. أما النصوص الدينية السريانية والعبرانية، فغالبًا ما قدّمت العرب في سياق لاهوتي، إمّا كخصوم دينيين أو كأدوات في تنفيذ مشيئة إلهية، مما يجعلها متأثرة بالعتيدة أكثر من التاريخ الموضوعي. في حين أن المصادر الفارسية والحبشية قدّمت العرب من زاوية سياسية، بوصفهم حلفاء أو أعداء في الصراع على السيطرة الإقليمية. لذلك، يوصي الباحثون بضرورة المقارنة بين المصادر الأجنبية والعربية والمكتشفات الأثرية لإعادة بناء صورة متوازنة لتاريخ العرب قبل الإسلام. فالقيمة العلمية لهذه

المصادر تكمن لا في حيادها، بل في قدرتها على تقديم منظور خارجي مكمل يثري فهمنا للسياق التاريخي العام (عبد العزيز صالح ، 18992 ، ص 12-13)

يتضح من مجموع هذه المعطيات أن المصادر الأجنبية، رغم تحيزاتها، تشكل شاهداً حضارياً فريداً على المكانة التي كانت للعرب في التاريخ القديم، وعلى تفاعلهم السياسي والاقتصادي مع القوى الكبرى في الشرق الأدنى قبل بزوغ فجر الإسلام، مما يجعلها أداة ضرورية لفهم تطور الشخصية العربية في سياقها العالمي.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم، يتبين أنّ دراسة تاريخ العرب قبل الدعوة الإسلامية ليست مهمة يسيرة، بل هي مجال متشعب يتطلب التعامل النقدي المتوازن مع مختلف أنواع المصادر المتاحة، سواء كانت مادية أو نصية. فقد أظهرت الأبحاث السابقة أنّ هذا التاريخ لا يمكن فهمه بالاعتماد على نوع واحد من الأدلة، لأن كل فئة من المصادر تقدم جانباً محدداً من الصورة العامة للحياة العربية القديمة. فالمكتشفات الأثرية والنقوش، بما تحمله من دلائل عمرانية وتجارية ودينية، تمثل الشاهد المادي الملموس الذي يعزز مصداقية النصوص الأدبية، في حين تُعدّ النصوص الأدبية والإسلامية والعربية المبكرة مرآة للتحوّلات الفكرية والاجتماعية التي مهّدت لظهور الإسلام

كما تبين أن للمصادر الأجنبية، رغم ما يشوبها من انحيازات أو قصور في الفهم الثقافي، قيمة معتبرة في توثيق العلاقات الخارجية للعرب وموقعهم في شبكة الحضارات القديمة. ومع ذلك، فإن الاعتماد الحصري عليها دون نقدٍ منهجي يقود إلى رؤية مشوهة أو مبتورة، خصوصاً أن كثيراً من تلك النصوص كُتبت من منظور استعماري أو ديني يهدف إلى خدمة مصالح محددة.

لقد أثبتت الدراسات الحديثة في علم النقوش واللغات القديمة، إضافة إلى جهود المستشرقين والباحثين العرب المعاصرين، أنّ النظرة التقليدية للعرب قبل الإسلام كانت في كثير من الأحيان سطحية أو نمطية. أما الاكتشافات الأثرية الحديثة في مأرب، والعلّا، وتدمر، ونجران، فقد غيّرت جذريًا فهمنا لطبيعة الحياة العربية، إذ كشفت عن حضارات منظمة، واقتصاد مزدهر، وعلاقات دولية متشابكة، ما ينفي الصورة الشائعة عن الجاهلية كمرحلة "ظلام" أو "بدائية"

وفي ضوء هذه المعطيات، يمكن القول إنّ دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام تتطلب الجمع بين الجانب الأثري واللغوي والنصي لتحقيق رؤية علمية متكاملة. فالمصادر المادية تمنح الصلابة للوقائع، والمصادر النصية توضح الأبعاد الفكرية والاجتماعية. إنّ التكامل بينهما هو الكفيل الوحيد لإعادة بناء تاريخ عربي أصيل.

لذلك، من الضروري أن تتجه الجهود الأكاديمية المستقبلية نحو توسيع البحوث الميدانية في علم الآثار، وتعميق الدراسات اللغوية المقارنة للنقوش، وربطها بالسياق الحضاري العام للمنطقة. بهذه الطريقة، يمكن أن تتكوّن لدينا صورة أكثر وضوحًا وإنصافًا عن العرب قبل الإسلام، ليس فقط بوصفهم مقدمة لظهور الإسلام، بل كحضارة ذات خصوصية وفاعلية في التاريخ الإنساني.

الهوامش:

1. عبد الرحمن عطية، موسوعة المصادر والمراجع، الطبعة 6، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2007. ص 4.
2. نفسه ص 5.
3. عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الاموية، دار العلم، بيروت، لبنان، 1970. ص. 20.
4. محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزآبادي، القاموس المحيط، الطبعة 1، دار الطباعة الحديثة، 2010. ص 1006.
5. سورة الفرقان، الآية 63.
6. سورة البقرة، الآية 67.
7. سورة الأعراف، الآية 199.
8. سورة هود، الآية 46.
9. محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، الجزء 1، الطبعة 2، دار الكتاب المصري، مصر، القاهرة، 2009، ص 16.
10. نفسه، ص 17.
11. ابي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، المكتبة الاموية، سوريا، دمشق، 1964، ص 249.
12. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء 1، الطبعة 2، جامعة بغداد، العراق، 1993. ص 39.
13. عمر فروخ، المرجع السابق، ص 40.
14. سورة النجم. 51.50.

15. جواد علي، المرجع السابق. ص 298.299.
16. نفسه، ص 354.356.
17. نفسه، ص 375.377.
18. سورة الحجرات، الآية 10
19. عمر فروخ، المرجع السابق. ص 84.85.
20. نفسه، ص 4342.
21. سورة الإخلاص الآية 1
22. محمد طلعت حرب، تاريخ دول العرب والإسلام، الطبعة 3، مطبعة دار النشر والوثائق القومية بالقاهرة، القاهرة، مصر، 2007. ص 90.98
23. نفسه، ص 132.137
24. محمد طلعت حرب، المرجع السابق، ص 11
25. سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، الطبعة 1، دار الفكر اللبناني، لبنان، بيروت، 1995. ص 14.
26. نفسه، ص 4036.
27. محمد طلعت حرب، المرجع السابق، ص 12.14
28. حسين الحاج حسن، حضارة العرب في صدر الإسلام، الطبعة 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1992. ص 20.21
29. عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، 1992. ص 10.16
30. عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 15.16

31. اغناطيوس غويدي، ترجمة إبراهيم السامرائي، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1986. ص 16.13
32. سورة البروج. الآية 4
33. حسين الحاج حسن، المرجع السابق. ص 27
34. سورة سبأ، الآية 16
35. اغناطيوس غويدي، المرجع السابق. ص 24.22
36. حسين الحاج حسن، المرجع السابق. ص 26.25
37. نفسه. ص 27
38. جواد علي، المرجع السابق. ص 52.44
39. سورة الشمس. الآية 11.
40. عبد العزيز صالح، المرجع السابق. ص 9.8
41. نفسه، ص 19
42. سورة الزمر. الآية 3
43. سورة النحل. الآية 58
44. عبد العزيز صالح، المرجع السابق. ص 13
45. نفسه، ص 12
46. جواد علي، المرجع السابق. ص 58.56
47. عبد العزيز صالح، المرجع السابق. ص 10
48. جواد علي، المرجع السابق. ص 55.53
49. عبد العزيز صالح، المرجع السابق. ص 15.12

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، المكتبة الاموية، سوريا، دمشق، 1964.
2. اغناطيوس غويدي، ترجمة إبراهيم السامرائي، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1986.
3. حسين الحاج حسن، حضارة العرب في صدر الإسلام، الطبعة 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1992.
4. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء 1، الطبعة 2، جامعة بغداد، العراق، 1993.
5. سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، الطبعة 1، دار الفكر اللبناني، لبنان، بيروت، 1995.
6. عبد الرحمان عطية، موسوعة المصادر والمراجع، الطبعة 6، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2007.
7. عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، 1992.

8. عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الاموية، دار العلم، بيروت، لبنان، 1970.
9. محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزبادي، قاموس المحيط، الطبعة 1، دار الطباعة الحديثة، دمشق، سوريا، 2010.
10. محمد طلعت حرب، تاريخ دول العرب والإسلام، الطبعة 3، مطبعة دار النشر والوثائق القومية بالقاهرة، القاهرة، مصر، 2007.
11. محمود شكري الالوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، الجزء 1، الطبعة 2، دار الكتاب المصري، مصر، القاهرة، 2009.../..2022